تفسير كلّ آية بجملة

﴿٦٢﴾ - إنّ الذين آمنوا بسيّدنا محمّد ﷺ، والذين كانوا على الدّين المحرّف كاليهود والنّصارى، والصّابئة- طائفة تقدّس الكواكب والملائكة-، ثمّ آمنوا برسالة سيّدنا محمّد ﷺ بعد بعثته ودخلوا في دين الإسلام، ووحّدوا الله تعالى ونطقوا بالشّهادتين وآمنوا بالبعث والحساب يوم القيامة، وعملوا الأعمال الصّالحة في دنياهم، فهؤلاء جميعهم ينالون الثّواب المحفوظ عند ربّهم، ولا يلحقهم خوف من عقاب، ولا ينالهم حزن على فوات ثواب.

﴿٦٣﴾ - واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم العهد والميثاق، رافعين جبل الطّور فوقكم كالظّلة حتّى خفتم وأذعنتم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التّوراة بجدّ واجتهاد، واذكروا ما فيها من هدى وإرشاد كي تصونوا أنفسكم من العقاب.

﴿٦٤﴾ - ثمّ إنّكم أعرضتم بعد ذلك، فلولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخيره العذاب عنكم، لكنتم من الضّالين الهالكين.

﴿٦٥﴾ - ثمّ أنتم بلا ريب قد عرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحدّ منكم في يوم السّبت، بأن اصطادوا السّمك فيه - مع أنّه يوم راحة وعيد- والعمل فيه محرّم عليكم، فمسخهم الله قردة.

﴿٦٦﴾ - جعل الله تلك العقوبة عبرة للأمم التي في عصرهم، وتحذيرًا لمن يأتي بعدهم من أن يفعلوا مثل فعلهم، وهي موعظة للذين يتّقون ربّهم وينتفعون بنذير العظات والعِبَر.

﴿٦٧﴾ - واذكر- يا محمّد- حين قال موسى لقومه وقد قُتل أحدهم ولم يعرفوا قاتله: إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحًا لمعرفة القاتل، ولكنّهم استغربوا أن تكون هناك صلة تجمع ما بين قتل القتيل وذَبح البقرة قائلين: أتسخر منّا يا موسى؟ فأجابهم: إنّي أعتصم بتأديب الله لي أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده.

﴿٦٨﴾ - هنا قالوا لموسى متردّدين في أمر البقرة: اُطلب لنا من ربّك أن يبيّن لنا صفة تلك البقرة، فقال لهم: إنّ الله أخبرني بأنّها ليست كبيرة ولا صغيرة، بل هي وسط بين الكبر والصّغر، فنفّذوا ما أمركم الله به.

﴿٦٩﴾ - ولكنّهم استمرّوا في تردّدهم فقالوا: اُطلب لنا من ربّك أن يبيّن لنا لون هذه البقرة، فأجابهم موسى: بأنّ الله يقول: إنّها بقرة صفراء شديدة الصّفرة، تُعجِبُ النّاظر إليها لصفاء لونها ووضوحه.

الآيات من 62 - 66

عقوبة التّحايل على الله

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

نزلت هذه الآية في أصحابِ سلمانَ الفارسيّ، وكان من أهل جند سابور ومن أشرافهم، وأخرج ابن أبي حاتم والعدني في مسنده عن مجاهد قال سلمان الفارسي: سألت النَّبيَّ ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية. وأخرج الواحدي عن مجاهد قال: لما قصّ سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: هم في النّار، قال سلمان: فأظلمت عليّ الأرض، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى قوله: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ قال: فكأنّما كُشِفَ عنّي جبل.

المناسبة: اتّبع الأسلوبُ القرآنيُّ منهجَ التّذكير في ثَنايا بيانِ القصّة القرآنيّة، وفتحَ باب الأمل لدفع اليأس، والقنوطِ أثناء توضيح الأسباب الموجبة للعقاب، للفت النّظر وجذب الانتباه، وهكذا كان الأمر هنا، فبعد أن ذكّر الله اليهود بأفعال أسلافهم قديمًا، وأوضح مصيرهم وجزاءهم، ليعتبرَ المعاصرون، أورد مبدأ عامًا لكلّ المؤمنين، وهو أنّ كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر تمسّك بحبل الدّين المتين، وعمل صالحًا، فهو من الفائزين، سواء أكان من أتباع محمّد ﷺ أم من الذين هادوا أي تابوا من أتباع موسى عليه السلام في وقت النّبيّ موسى عليه السلام، أم من الذين قالوا نحن أنصار الله من أتباع عيسى عليه السلام في زمن النّبيّ عيسى عليه السلام أم من الذين تركوا دينهم مطلقًا وأسلموا، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]

المعنى العام

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يشمل الأنبياء من قبل وكلّ من آمن معهم على دين الإسلام، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ أي الذين آمنوا بموسى، وعيسى... ﴿والنَّصارَى﴾: الّذين قالوا نحن أنصار الله من أتباع عيسى ﴿والصّابئين﴾ قوم عدلوا عن اليهوديّة والنّصرانيّة وعبدوا الملائكة ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ أي من آمن من هذه الطّوائف إيمانًا صادقًا فصدّق بالله، وأيقن بالآخرة وترك عقائد الشّرك من التّشبيه أو الكفر برسالة الإسلام وإنكار نبوّة رسول الله محمّد ﷺ فصار مسلمًا ﴿وعَمِلَ صالِحًا﴾ أي عمل بطاعة الله في دار الدُّنيا ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي لهم ثوابهم عند الله لا يضيع منه مثقال ذرّة ﴿ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنونَ﴾ أي ليس على هؤلاء المؤمنين خوفٌ في الآخرة، حين يخاف الكفّار من العقاب، ويحزن المقصّرون على تضييع العمر وتفويت الثّواب.

لمّا بيَّن تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره، وتعدّى في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم، وما أحلّ بهم من النّكال، نبّه تعالى على أنّ من أحسن من الأمم السّالفة وأطاع، فإنّ له جزاء الحسنى، وكذلك الأمر إلى قيام السّاعة. فكلّ من اتّبع الرّسول النّبيّ الأمّيّ ﷺ فله السّعادة الأبديّة.

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما بعد أن قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ نزلت الآية: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، والمعنى أنّ الله تعالى لا يَقْبل من أحد طريقة ولا عملًا إلا ما كان موافقًا لشريعة سيّدنا محمّد ﷺ، وأمّا ما قبل ذلك، فكلّ من اتّبع الرّسول في زمانه، فهو على هدى وسبيل ونجاة. ولمّا بعث الله سيّدنا محمدًا ﷺ خاتمًا للنّبيّين ورسولًا إلى بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عمّا نهى عنه و زجر، وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا، وسمّيت أمّة سيّدنا محمّد ﷺ "مؤمنين" لكثير إيمانهم وشدّة إيقانهم، ولأنّهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية.

وأمّا الصّابئون: فقد اختلف فيهم، فعن مجاهد قال: الصّابئون قوم بين المجوس واليهود والنّصارى ليس لهم دين، وروي عن عطاء وغيره: الصّابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزّبور، ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق: لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم، وعن الحسن: أنّ الصّابئين هم قوم يعبدون الملائكة. وقيل: الصّابئون أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلّا الله.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي اذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا منكم العهد المؤكّد على العمل بما في التّوراة. وذلك بعد أن أنجاكم وأهلك عدوّكم بالغرق ورجع موسى عليه السلام بالألواح والتّوراة ووجدكم قد عبدتم العجل، ثم أعرضتم عن اتّباع ما جاء فيها زاعمين أنّها فوق طاعتكم، عندها كان التّأديب الإلهيّ لكم بأن رفع جبل الطّور فوقكم وخيّركم بين الامتثال لأوامره وبين أن يطبق عليكم الجبل. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ قلعنا الطّور ورفعناه فوق رؤوس عسكركم كالظلّة، لتقرّوا بما عاهدتم عليه الله، وتأخذوه بقوّة وحزم وامتثال، وقلنا لكم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من التّوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ واجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ من الوعظ والتّذكير؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الله فتفوزون بالخير الكثير، فقبلتم ذلك كرهًا.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَسْجُدُوا قَالَ: أَمَرَ اللهُ الْجَبَلَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ قَدْ غَشِيَهُمْ، فَسَقَطُوا سُجَّدًا عَلَى شِقٍّ وَنَظَرُوا بِالشِّقِّ الْآخَرِ فَرَحِمَهُمُ اللهُ فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: مَا سَجْدَةٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ سَجْدَةٍ كَشَفَ بِهَا الْعَذَابَ عَنْكُمْ، فَهُمْ يَسْجُدُونَ لِذَلِكَ عَلَى شِقٍّ"، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]"[3].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ وأعرضتم عن الميثاق بعد أخذه فسفكتم الدّماء، وقتلتم الأنبياء، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بتوفيقكم للتّوبة، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بقبولها منكم ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ في الدّنيا والآخرة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الأعراف بسم الله، حديث رقم: ٣٢٥٢.

فائدة: الفضل هو الزّيادة عمّا تستحقّه ولذا جاء في الحديث "سدِّدوا وقاربوا وأبشروا فإنّه لا يُدخِلُ أحدًا الجنّة عَمَلُه، قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني اللهُ بمغفرة ورحمة"[1]، لأنّ عمل الإنسان كلّه لا يعدلُ نعمةً واحدة من نعم الله على الإنسان، فيأتي فضل الله ليدخلَهُ الجنّةَ. أمّا الرّحمةُ فهي الّتي فتحت طريقَ التّوبة لغفران الذّنوب. ومن رحمته تعالى وفضله على بني إسرائيل أنْ ذكر لهم أوصاف خاتم الأنبياء عليه الصّلاة والسّلام في التّوراة ليخرجهم من الضّلالة إلى الهدى ومن الخسران المبين إلى الفوز العظيم، ولكنّهم استكبروا وجحدوا وتعنّتوا فاستحقّوا غضب الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ في زمن داود عليه السلام وذلك في قرية يقال لها "إيلات"، كانت على شاطئ البحر، وقد نهوا عن الاصطياد يوم السّبت، فكانت الحيتان تخرج يوم السّبت شرّعًا، فتخرج خراطيمها للبرّ، فإذا كان يوم الأحد دخلت في البحر، فحفروا حياضًا، وشرّعوا إليها جداول، فكانت الحيتان تدخلها يوم السّبت فيصطادونها يوم الأحد، فلمّا لم يعاقبوا على ذلك أحلّوا يوم السّبت، فانقسمت القرية على ثلاث فرق: قوم نَهوا، وقوم سكتوا، وقوم اصطادوا ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فمسخ الله تعالى من اصطاد قردة وخنازير، الشّبان قردة، والشّيوخ خنازير، فبقوا ثلاثة أيّام وماتوا. ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ زجرًا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لما ارتكبوه في زمانها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ومن يأتي بعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وتذكيرًا للمتقين من أمّة محمّد ﷺ.

فبعد أن نقضوا ميثاقهم مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالإنسان في الشّكل الظّاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحِيَلهم، لمّا كانت مشابهة للحقّ في الظّاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم، وقد ذكر تعالى هذه القصّة مبسوطة في سورة "الأعراف" فقال: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[3].

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. العبرة بالحقائق لا بالألفاظ. فالمنافق إذا قال إنّه مؤمن أو مسلم، ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغني النّسبة عنه شيئًا. فمن أسلم وأشهر إسلامه ليتزوّج من فتاة مسلمة لا يعتبر مسلمًا ما لم يعتقد اعتقادًا جازمًا بأركان الإيمان السّتّة، ويؤمن بالقرآن الكريم وكلّ ما فيه، ولا يصحّ زواجه شرعًا ما لم يصحّ إيمانه عند الله تعالى. فإن كانت الفتاة أو أهلها يعلمون أنّه أسلم بلسانه ولم يتمكّن الإيمان من قلبه، أو شكّوا بذلك فلا يجوز لهم مطلقًا أن يزوّجوه، وإن فعلوا فالزّواج عند الله تعالى باطل. ومن يفعل ذلك فقد تحايل على الدّين، وقد يُمسخ قلب صاحبه قردًا أو خنزيرًا كما ورد في الآية.

(١) [رواه الشّيخان وغيرهما]
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].

فاليهوديّ والنّصرانيّ والصابئيّ وكلّ من نُسب إلى دين قد نُسِخ، ثمّ بلغته دعوة النّبيّ محمّد ﷺ فلا بدّ من أن يدخل في الإسلام، وينطق بالشّهادتين ويؤمن بكلّ ما ورد في القرآن الكريم حتّى يفوز بالجنّة، وينجو من العذاب. فإنّ رسول الله محمّد ﷺ أرسله الله تعالى إلى العالمين، النّاس كافّة، وقد أمر جميع الأنبياء أممهم أن يتّبعوا خاتم الأنبياء محمّد ﷺ إذا أدركوه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2]. وقوله تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾"[3]

٢. يجب أخذ أحكام الشّرع بحزم، وعدم نسيانها أو تناسيها.

٣. **اعلم** أنّ كثيرًا من الرّهبان والقسّيسين لا يستكبرون، فإذا رأوا الحقّ يؤمنون به على عكس اليهود الذين يستكبرون عن رؤية الحقّ فلا يؤمنون. والنّصارى أنواع، أقربهم مودّة لهذا الدّين أصولًا وجذورًا الأرثوذكس، وأبعدهم عنه البروتستانت- المقربون من اليهود- الذين حرّف اليهود دينهم مرّتين.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ* وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ* فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[4].

من معجزات سيدنا موسى عليه السلام:

معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل كي يعطوا الميثاق على ما جاء في الألواح.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- إنّ مدار الفوز والنّجاة هو الإيمان الصّحيح المقترن بالعمل الصّالح لأنّ الإيمان إن لم يقترن بالعمل الصّالح فهو عرضة للزّوال، ولذا فقد قرن الإيمان بالعمل الصّالح في كثير من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة كما قُرِنت الصّلاة بالزّكاة، ولذا ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ العمل»[5].
- **خطر عظيم:** إنّ المعصية بالتحايل أكثر جلبًا لسخط الله من المعصية بلا تحايل، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعتدوا مِنكُمْ فِي

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمّد ﷺ، حديث رقم: ١٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١. (٣) سورة الصف، الآية: ٦. (٤) سورة المائدة، الآية: ٨٢.
(٥) ذكره السيوطي في الفتح الكبير، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١٠١٩٤، باب: حرف اللّام، ٥٣/٣.

السَّبت فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسئين﴾[1]. فإذا زلّت بك القدم وعصيت فاعترف بذنبك، ولا تحاول أن تتحايل على الشّرع لتبرّر معصيتك. وقد يُخشى على من يتحايل على الدّين ليُحلّ ما حرّم الله، مثال نفي فرضيّة الخمار (أي غطاء الرأس) على النّساء، وقضاء صلاة الفريضة- من أن يمسخ الله قلبه قردًا أو خنزيرًا. والقرد لا يقرّ له قرار ولا يصبر على حال، ولا يرضى ولا يعرف ما يرضيه. أمّا الخنزير، فهو يحبّ الشّهوات والسّفليات، ويكره الطّهارة والعلويّات.

في الأخلاق والآداب

مسْخُ هذه الأمّة نزل على القلوب، فكما أنّهم لمّا تركوا الأمر واستهانوا بما أُلزموا به من الشّرع، فأحلّوا ما حرّم الله، عُجّلت عقوبتهم بالخسف والمسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النّصُّ، فهذه الأمّة مِنْ نَقْضِ العهدِ ورفض الحدِّ عوقبت بمسخ القلوب، وتبديل الأحوال، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[2] وعقوبات القلوب أنكى من عقوبات الأبدان.

التوجيهات:

- على المسلم أن يتمسّك بدينه بقوّة، وأن لا يكون سريع التّنازل عن شيءٍ، منه أمام الأحداث والمصائب،﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[3].
- ما يحصل لغيرك من عقوبة فيه عبرةٌ وعظة لك: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

الإشارة: اعلم أنّ المريدين إذا دخلوا في دائرة السّلوك على يد شيخ التّربية، وأخذوا عنه العهد، حمّلهم من أعباء التّكليف وخرق العوائد ما تموت به نفوسهم، وتحيا به قلوبهم. كذبح النّفوس وحطّ الرؤوس ودفع الفلوس، فإذا همّوا بالتّقصير، ظلل عليهم جبل همّته، وأدار عليهم يد حفظه ورعايته. والمراد باليد: الهمّة والحفظ والتّرغيب والتّرهيب، ولا يزال الشّيخ يراسلهم بهذه التّكاليف، ويحضّهم على الأخذ بها، والاجتهاد في العمل بها. حتى تموت نفوسهم وتحيا قلوبهم، وترسخ معرفتهم، وتكمل تربيتهم، فحينئذٍ ينتقلون إلى روْحٍ وريْحانٍ في جنّات الشّهود والعيان.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠. (٣) سورة البقرة، الآية: ٦٣ (٤) سورة البقرة، الآية: ٦٦.